سكان الشمال الافريقي من اقدم العصور حتى الاسلام

الدكتور وليد محمود الجادر
استاذ مساعد
جامعة بغداد • كلية الاداب • قسم الاثار

تشير الدراسات الحديثة الخاصة بالعلوم الاثرية والعلوم الاخرى المساعدة الى ان اقدم البقايا للانسان وجدت حتى الان في افريقيا ومن المحتمل ان يكون نمو وتطور الاجناس الرئيسية للانسان قد وجدت في هذه القارة أيضا • وان الاهمية الكبيرة للمنطقة في هذا المجال ليست هي الهدف الرئيسي في بحثنا الحالي بقدر اهمية دراسة شمالي افريقيا من الناحية البشرية ومدى ارتباط تجمعاتها السكنية بالتجمعات المعروفة في جنوب غرب اسيا بشكل خاص • ان مثل هذه العلاقة ستوضح فيما بعد الابداعات الثقافية والحضارية التي توصل اليها سكان المناطق في الشمال الافريقي التي افلحت خلال صراعها مع الطبيعة وتجاربها في تحقيق الاغراض المشتركة لسكانها وخاصة اننا نعرف عن توصل سكان الشمال الافريقي الى تحقيق العديد من منجزات العصر الحجري الحديث من خلال اختلاطهم بموجات الجماعات السامية وبجماعات من مناطق جنوب غرب اسيا بشكل عام • ولا يخفى ما للموقع الجغرافي الهام الذي تحتله منطقة الشمال الافريقي وعلاقتها ، كجزء مهم من اجزاء العالم العربي ، فالمنطقة تتصل بالبحر المتوسط وامتداداته حتى جنوب غرب اسيا وتتصل من جهة اخرى بالصحراء التي كانت مرتعا معروفا لاستقرار وتنقل جماعات عديدة • وكان لسكان شمالي افريقيا صلات كثيرة ببلاد اليونان والرومان واوربا بشكل عام • كل هذه الدوافع الرئيسية ضاعفت من اهتمام الباحثين في تاريخ هذه المنطقة ونشوئها وآثارها خلال ادوارها التاريخية المختلفة •

لقد ظهر حتى الان ان اقدم اثار للانسان في افريقيا والذي كان قادرا على صنع الادوات هو الانسان المعروف « بالاوستر الوبستين او القــرد ــ البشر الجنوبي • وذلك قبل حوالي المليون وثلاثة ارباع المليون سـنة[1] •

ويعتبر هذا المخلوق واحدا من نماذج المراحل الاربعة الرئيسية التي مرت بها البشرية خلال تطورها ، ولقد اتخذت صناعة الادوات الحجرية على انها ظاهرة رئيسية مميزة لفترة البشرية وما قبلها عن غيرها[2] •

لقد اكتشفت نماذج من البشر القردي ، وهـو نفسه المروف بالقــرود الاعلى ، في جنوب افريقيا لاول مرة وهو ما يعرف علميا بـ :

---

(١) Julien. Ch. A. Histoire de L'Afrique Blanche. Que Sais-Je? Paris. 1966. P. 7.

(٢) يأخذ علماء التشريح خاصية اخرى لتمييز الانسان عن الحيوان ، تلك هي السعة الدماغية التي يجب ان تكون كحد ادنى ٧٥٠ سم٣ ، هذا بينما يرى علماء الانتروبولوجيا ان اهم خاصية ينفرد بها الانسان عن غيره من المخلوقات هي القدرة على الاستفادة من الخبرات المتراكمة والمنقولة وبشكل عام نلاحظ المواصفات التالية على أساس كونها اسسا تميز الانسان العاقل عن فصيلة القردة العليا مثلا وهــي :

١ ــ سعة دماغية بين ١٠٠٠ــ٢٢٠٠سم٣ •

٢ ــ جبهة عالية خالية من عظم حاجب بارز ٣ــ اعتدال القامة والمشي على الرجلين • ٤ــ سقف الفم مقوس بشكل هلال ، اما عند القرود العليا فهـو بشكل حرف U ويعطي هذا لوجه القرد بروزا • ٥ عدم بـروز الانياب وارتفاعها الى مستوى الاسنان الاخرى • ٦ انعدام الثغرة بـين القواطع والانياب • ٧ ــ انتهاء الفك الاسفل بذقن بارز • ٨ ــ عدم وجود الرف العظمي القردوي خلف الشفة السفلى • هناك اضافة الى ذلك الخواص البشرية الاخرى المرتبطة بكبر وقابلية حجم الدماغ وهي القدرة التي توفر للانسان القابلية على الاستنتاج والتأمل والذاكرة القوية ومن ثم استعمال اللغة واخيرا القدرة على صنع الالة • للتوسع في هذا الموضوع انظر :

د ــ عبالجليل جواد • « متى وكيف ظهر الانسان العاقل » • مجلة سومر • مجلد ٢٨ (١٩٧٢) ص ٣١ــ٣٣ وكذلك ص ٣٤ــ٣٥ •

Australopithecus Africanus (٣) ، ووجد ان القابليــة الدماغية لهــذه النماذج كانت بين ٤٥٠ـ٦٠٠ سم^{3} وهي ثلث معدل السعة الدماغية للانسان العاقل وهي ١٤٥٠ سم^{3} ومعادلة للسعة الدماغية لاكبر القــردة العليــا وهي الكوريللا : ٥٠٠ سم^{3}. والشمبانزي : ٤٠٠ سم^{3} (٤) ٠

ولقــد عثر الدكتور ليكي ، Leokey في عام ١٩٥٩ على مواقــع الانسان المعروف بـ : زنجبا تروپوس وعــلى بقايا الانســـان الماهـــر : Zinjanthropus boïsei و Homo-habilis وذلك في منطقة اولدوفــاي في تنجانيقــا(٥) ٠

---

(٣) عن الطرق المستخدمة في اختبار الادوار الخاصة بالفترات القديمة والتـي تصل الى اكثر من ٧٠٠٠٠ر٧٠ سنة ، حيث جربت بنجاح الطريقة المعروفـة بطريقة الاختبار بـ : اركون ـ بوتاسيوم التــي تتميز باختبار الترسبات المحتوية على معدني البوتاسيوم والارغون ، وكان قد استعملها لاول مرة كل من Evernden و Curtis من جامعة كاليفورينيا الامريكية وذلك بداية من عام ١٩٦١٠ انظر في ذلك : طه باقر : عصور ما قبل التاريـخ في ليبيا وعلاقتها باصول الحضارات القديمة ٠

(٤) William, W. Howells. "The Distribution of Man" in: Scientifc American. Sept. 1960. P. 1—11.

Broom. R. &. G.W.H. Schepers. The South Transval Fossil Ape-Men: Transval Museum. 1946. after:

د ـ عبدالجليل جواد ٠ نفس المصدر السابق ٠ ص ٣٦ ٠

(٥) شاركت ليكي زوجته ماري خلال اعمال اكتشافه لهذه البقايا العظيمة عام ١٩٥٩ والاسم المعطي لهذا الانسان المكتشف في شرق افريقيا هو في الواقع الاسم العربي القديم لهذا الجزء من القارة ٠

وفي نفس المنطقة تم اكتشاف بقايا اخــرى للانسان ترجع الى حوالــي ثلاثة ملايين عام ، وذلك خلال عام ١٩٧٥ ٠ وبموجب الطريقة المعروفة باستخدام الاركون ـ بوتاسيوم لتحديد عمر العينات التي وجدت فيها بقايا الانسان المكتشف من قبل ليكي وجد انه عاش في فترة تتراوح بين مليون و ٧٠٠ الفا سنة ومليون و ٨٠٠ الف سنةمضت ٠ ووجد في كينيا بقايا انسان قال علماء جامعة هارفـــرد في الولايات المتحدة انها اقدم من بقايا الانسان المكتشف من قبل ليكي في تنزانيا بـ ٨٠٠ الف سنة مضت ٠

في عام ١٩٦١ عثر على ما يعرف بانسان شاد **Tchadanthropus uxoris** وذلك في المناطق الواقعة الى الجنوب من تبستي في تشاد ، وظهر بهذا الاكتشاف لهذا النوع من الانسان انتشار النوع المعروف بانسان الارشانترويس منذ ما يقرب من مليون سنة في كل القارة الافريقية تقريبا(٦).

عاش في افريقيا ايضا الانسان المعروف بالانسان الموريتاني الاطلسي : **Atlanthropus mauritanious:** ووجد ان هذا النوع عاش عيشة بدائية معتمدا على الصيد وجمع القوت وكان قد ظهر في حدود ٤٥٠،٠٠٠ سنة ق٠م٠

ثم ظهر في شمال افريقيا الانسان المعروف بانسان الرباط الذي اكتشف في عام ١٩٥٣ ، واكتشفت نماذج اخرى مشابهة خلال نفس العام في موقع سيدي عبدالرحمن ٠ ثم في عام ١٩٥٦ عثر على نماذج اخرى في موقع « تمارة » ٠

ان مجموعة هذه النماذج تشير الى تطور سريع نسبيا لهذا الانسان وللمجموعة البشرية في هذه المناطق من الشمال الافريقي ٠ ولقد وجد ان البعض من نماذج هذه الانواع لها مشابهات قوية مع افراد مجموعة بكين وجاوة(٧) ٠

والمعروف ان ريتشارد ليكي عثر على بقايا حوالي ٢٠٠ مخلوق من اشباه الانسان (الهوومنيد) ووجد ان نصف هذه المجموعة تنتمي الى القرد البشري الجنوبي ، اما الباقية فقد صنفت على اعتبارها بشرية ، والجدير بالذكر ان الجمجمة التي اعطاها ليكي رقم ١٤٧٠ كانت السعة الدماغية لها ٨٠٠ سم^{3} ولقد عثر عليها تحت احجار بركانية عمرها ٢ مليون و ٨٠٠ الف عام ٠

انظر في ذلك : مجلة العصر الحديث الصادرة في موسكو : العدد : ١١ (١٩٧٧) ص ٤٠-٤٢ ٠

(٦) **Julien. Ch. A. Ibid. P. 7.**

« وجد بان الجماعات السكانية في افريقيا والتي انتجت الادوات الخاصة بفترتي الصناعة الابقيلية والاشولية هم من جماعة الارشانترونيس » ٠

(٧) **Cole, S. Races of Man. London. 1963.**
Julien. Ch A. Ibid. P 10.

والمعـــــروف ان بيبرسون ، Biberson, P. كان قد اكتشف في شهر اذار من عام ١٩٥٥ بقايا عظمية لانسان في مغارة ليتورين ، Littorines القريبة من سيدي عبدالرحمن في المغرب ، ووجـد بعد الاختبار انهـا من نفس نوع الانسان المعروف بانسان باليكو والاخير معروف بكونه مــن جنس الاتلانتروبس(٨) ولقد وجد من نوعيته وخصائصه في مواقـع عديدة من شمال افريقيا وكما سبق الاشارة الى ذلك . فعرف في مواقع ديرة الدادة في اثيوبيا (الحبشة) منذ عام ١٩٣٢ ، وعرف في موقع هو افتيح في قورينة وهي برقة الحالية في ليبيا ، وفي منطقة ارهون ، في المغرب .

وعرف ان تجمعات هؤلاء كانت وسط مناخ يوصف بكونه دافئا ورطبا بشكل ساهم في توفير وتسهيل عمليتي الصيد وجمع القوت . كما وجد ايضا من دراسة البقايا العظمية المكتشفة في موقع سيدي عبدالرحمن انها تعود الى نفس النوعية ، الاتلانتروبس(٩) .

ولحد الان لم يعثر على ما يمكن اعتباره حلقة وصل بين جماعات ما يعرف بانسان النياندرتال وانسان فترة العصر الحجري القديم الاعـلى او المتأخر ، والمعروف ان الثاني لم ينتج من الاول وان النوعـين يعـودان الى فصيلتين قريبة الواحدة من الاخرى .

والملاحظ ان صفات انسان النياندرتال في الشمال الافريقي تتميز بكونه من النوع المعروف بالكلاسيكي(١٠) وانه ذو مظاهر خشنة تتميز بجمجمـة ضخمة سميكة الجدران وحجم المخ يقرب من ١٤٥٠ سم٣ والحواجب ضخمة كبيرة تشبه حواجب الانسان القرد والقردة العليا ، كما ان الانف عريض

---

(٨) McBurney. C.B.M. The Stone Age of Northern Africa. Pelican Book 1960. P. 118.

(٩) McBurney. C.B.M. Ibid. P. 118.

(١٠) Weckler, J.E. Neanderthal Man. in: Scientific American. dec. 1957. P. 3—9.

كذلك انظر : د . عبدالجليل جواد . مجلة سومر ٢٨ (١٩٧٢) ص ٣١-٥١ .

والفك بارز والذقن متقهقرة والاسنان كبيرة نسبيا والاضراس ضخمة ، وتوجد انحناءات في عظام الاطراف • ولقد وجدت بقايا بينها مجموعات عظام نساء واطفال في كهوف مغارة العالية واشقر قرب طنجة وجنوب الرباط •

والمعروف ان هنالك تشابها بين نماذج البقايا العظمية لانسان النياندرتال في شمال افريقيا والمحدد زمنا بواسطة C14 بحوالي ٤٣٫٠٠٠ ألف سنة ، مع انسان النياندرتال المكتشف في فلسطين ، كذلك وجدت تشابهات في اساليب الصناعة الحجرية ، ويرى البعض ان هذا الانسان في هذه الفترة كان قد هاجر الى الشمال الافريقي عن طريق وادي النيل وعن طريق السواحل الجنوبية للبحر المتوسط •

وعن ظهور فصيلة الانسان العاقل Homo-Sapiens ،في مناطق الشمال الافريقي فانها لم تظهر الا بشكل متأخر قياسا بظهوره المبكر في مناطق اخرى ، ويبدو ان الانسان العاقل قد ظهر في شمال افريقيا خلال الفترة المعروفة بالايبروموريسية ، وهي الفترة المعاصرة للفترة المعروفة بالمكدلينية المتأخرة(١١) •

والمعروف ان شمال افريقيا شهد ظهور ثلاثة انواع متعاقبة لهذا الانسان العاقل :

١ ـ مجموعة انسان المغرب : وهي المجموعة التي قدر وجودها من فترة الالف العاشر ق • م وتتمثل هذه المجموعة في سلسلة متعاقبة لنوع من الجنس المحلي عثر عليه في موقع مشتى العربي في الجزائر ، وهذا النوع من

---

(١١) Camps, H. Fabrer. Matière et Art Mobilier dans la préhistoire Nord-Africainc et Saharienne. Paris. 1966 P. 5.

الانسان العاقل ظهر من فترة حوالي ٣٥ الف سنة ، وعرف في اوربا اولا وفي بقية انحاء العالم ايضا • واكتشفت اولى نماذجه عام ١٨٦٨ في موقع لزيزييه Eyzies في مكان صخري يسمى كرومانيون في جنوب فرنسا ولهذا سمي الانسان بهذا الاسم • وكان طول هذا النموذج ٥ اقدام و ١١ بوصة •

الجماعات المعروفة بجماعات البحر المتوسط القديمة وهي في الاصل من مناطق جنوب غرب اسيا وصلت الشمال الافريقي من اطراف البحر المتوسط الشرقية وانتشرت في مواقع وصلت حتى الجهات الغربية من المغرب وبمحاذات المحيط الاطلسي ويقال انها وصلت حتى جزر الكناري •

وتتميز هذه المجموعة بطول القامة النسبي : ٧٢ر١ م ، وبضخامة هياكلها العظمية ويكون الوجه عريضا وقصيرا ، وهناك تقوس في عظام الحاجب ولكن هذا التقوس لا يبرز الحاجب الى الامام ، ويمثل اصحاب هذه المجموعة نوعا متطورا من جنس الانسان العاقل •

٢ ـ المجموعة الثانية : وهي المجموعة المعروفة الانتشار في شمال افريقيا والتي ينسب اليها نتاج الثقافة القفصية • ولقد عرفنا ان هؤلاء هم من نوع الانسان الافريقي من الشرق الادنى ، وانهم جاءوا الى شمال افريقيا من شواطىء البحر المتوسط وعن طريق القرن الافريقي وعن طريق السودان ومناطق الصحراء في جهات فزان واستقروا في الاطراف الجنوبية من الاماكن التي كانت تستقر فيها جماعات البحر المتوسط القديمة ، واستقر الباقون من هؤلاء قرب بعض المقرات المائية وكانت اقتصادياتهم تعتمد بالدرجة الاساسية على جمع القوت وليس انتاجه ، ويمثل هؤلاء نوعا بدائيا لانسان البحر المتوسط مع بعض المظاهر الزنجية[١٢] •

لقد اثبتت نتائج التنقيب الاثري في مناطق الشرق والغرب من شمال افريقيا ان بقايا عظام الافراد التي وجدت مثلا في مقاطعة قسنطينة الواقعة في الشرق الجزائري انها تعود الى أكثر من سلالة واحدة ولكنها تنحدر من فرع واحد اصله من الاقسام الشرقية من البحر المتوسط ايضا ، هذا الى جانب العثور على

---

(١٢) Clark, J.D. in: papers in African prehistory. edited by: J. D. Fage and R. A. Oliver. G. Britain Cambridge. 1970. P. 25—42.

هياكل اخرى لها خصائص زنجية واضحة وترجع هذه الهياكل الاخيرة الى نهاية العصر الحجري القديم الاعلى(١٣) .

٣ ـ اما المجموعة الثالثة من انواع الانسان العاقل والتي انتشرت في شمال افريقيا فلقد عرفت بالجماعات الافريقية الالپينية : Afro-Alpins .

لقد قدم هؤلاء من جنوب غرب آسيا ، ولكن لم يمثل هؤلاء دورا كبيرا في مجال النشاط الاجتماعي والتقني في المناطق الجديدة التي استقروا فيها ، وكان ذلك خلال الفترة التي سبقت العصور التاريخية في مناطق الشمال الافريقي ، اي في حدود منتصف الالف الثاني ق . م .

وبالنسبة للتجمعات السكانية التي عرفت مقراتها في مواضع عديدة من الصحراء الكبرى ، فانهم خليط : بينهم شماليون ، أي من جماعات القفصيين او من جماعات اخرى من جنس البحر المتوسط وجماعة ثالثة من الجنوب : وهم اصلا من الزنوج .

والمعروف ان الانسان المسمى بانسان اصيلار ، Asselar ، والذي عثر على بقاياه العظمية من قبل مونود Th. Monod في عام ١٩٢٧ وذلك في شمال تومبوكتو بمسافة حوالي ٤٠٠ كم ، لقد وجد ان هذا الانسان يعود الى فترة العصر الحجري الحديث ويمثل تجمعه ظواهر قريبة من جماعة الانسان العاقل وانها قريبة من انسان كريما لدى(١٤) المتصف بالصفات الزنجية .

---

(١٣) شارل اندريه جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية . ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامه . تونس ١٩٦٩ ص ٤٧ . كذلك انظر :

Haynes. D.E.L. Antiquities of Tripolitania. Trinity Press. London. 1959. P. 18.

(١٤) Julien, Ch. A. ibid. P. 14.

ظهر بعد التدقيق ان تاريخ انسان « اصيلار » احدث من التاريخ المعطى من قبل مونود هذا ووجد انه من الفترة المعروفة ب : Post Palaeolithic

Th. Monod. Sur L'age de L'homme l'Asselar. Historia Naturalis. I, 4 (1946) pp. 81—2.;

Tacquetta Hawkes and Sir L. Woolley. History of Mankind Vol. I. G.B. London. 1963. P. 51.

وعلى وجه العموم تكون فصائل التجمعات السكانية في الشمال الافريقي مجموعة خليطة ، وهم بشكل عام من جنس البحر المتوسط ، ويمثل سكان الصحراء دور الوسيط في هذا الخليط • ونشاهد نماذج من سكان الصحراء وهؤلاء الذين اختلطوا مع عناصر مختلفة في رسومات تاسيلي ويمثلون جماعات من ذوي البشرة السوداء واخرين ذوي بشرة بيضاء ومجموعات ذوي بشرة نحاسية • ومن الممكن ان يكون اصحاب البشرة السوداء هم الذين انحدروا من جماعات رعاة الماشية وانهم ذابوا نتيجة الاختلاط مع الاقوام الاخرى •

والمعروف عن جنس البحر المتوسط انه يتميز برؤوس طويلة ومستقيمة والوجه طويل والانف دقيق معتدل في الغالب وشعر الرأس مجعد ولون البشرة يتراوح بين السمرة الفاتحة والسمرة الغامقة ، ويرجع اصل السكان في وادي النيل وسكان ليبيا الى هذا الجنس ايضا • اما ما اضافه العرب في هذه الناحية الجنسية فقد اعتبر تطويرا لصورة الافراد ، والحال ليس بنفس الصورة بالنسبة للمجموعة الالپينية ذوي البشرة البنية والشعر الغامق • وعرفت جماعات اخرى من نفس الجنس تتميز بقامات طويلة وبشرة بيضاء وردية وعيون زرقاء وشعر اشقر •

اما العناصر الاخرى المسماة بالقوقازية ، وهي التي كانت في الاصل واحدة من الاجناس البشرية التي دخلت الشمال الافريقي ، فقد جاءت من طريقين مقترحين : من طريق سيناء والسويس ، ومن باب المندب ، وقد هاجر معظم هؤلاء الى المناطق الشمالية من افريقيا لانها كانت اكثر ملائمة للاستقرار قياسا بالمناطق القريبة من حالة الجفاف في معظم اجزاء الصحراء وذلك خلال فترة العصر الحجري الحديث ، اي خلال الفترة المحصورة بين الالف السادس والثالث ق • م •

والمعروف عن هذه العناصر القوقازية (والتي سماها لاول مرة بلومنباخ ، Blumenbach نسبة الى اصل تجمعات سكنية في اوربا) ان بعض فروعها انتشرت في شبه جزيرة العرب والشام وايران وشمال افريقيا ، ويمتاز هذا الفرع الاخير بلون بشرة يتدرج من الابيض المشرب بحمرة الى اللون البني الداكن ، والشعر المتموج، وفي بعض الاحيان المسترسل او المجعد كما يتميز بالشعر الغزير وتتكلم هذه المجموعة الحامية والسامية في شمال افريقيا وفي جنوب غرب آسيا • وتعتبر جماعات ما يعرف بالبربر في شمال افريقيا فرع من هذه الاجناس التي اختلطت اول الامر بالسكان الاصليين في المناطق التي حلوا فيها[١٥] • وكان وجودهم واستقرارهم ومن ثم انتقالهم من مناطق الى اخرى يحدث بفعل موجات مهاجرة اخرى بما في ذلك الموجات العربية خلال الفتح الاسلامي وتكوين المدن في شمال افريقيا ، ويذكر مثلا انتشارهم في ليبيا ومصر وحتى المغرب ، حتى ان بعض المدن في ليبيا اصبحت بعد الفتح الاسلامي تضم مجموعة من عناصر غريبة من المهاجرين ولكن معظمهم من العرب والبربر اللذين تعربوا[١٦] •

---

(١٥) د • يسرى عبدالرازق الجوهري • السلالات البشرية • الاسكندرية • مصر دار المعارف ، ١٩٦٦ ص ٢٨٩ •

البربر هم القبائل القاطنة في شمال افريقيا والمعروف عن اليونانيين اولا انهم اطلقوا هذه التسمية على الرومان للدلالة على انهم اقوام متحضرة قياسا بحضارتهم اليونانية كما اطلق على الفرس ايضا • ومن ثم اطلق نفس الرومان هذه التسمية على كل من هو غير روماني في شمال افريقيا بالذات • وهؤلاء بالطبع يختلفون عن المقصود هنا بالقبائل البربرية وهي القبائل التي هاجرت من اكثر من منطقة واحدة •

ومن اصول هجراتهم ما يذكره الباحث الجزائري مبارك الميلي نقلا عن ابن خلدون والباحث الجنرال دوماس من « كون البربر اصلا من نسل كنعان وهو من حام ويدعى ابن كنعان مازيغ » • ولكن هذا الاصل ربما يرجع الى هجرة كبيرة حدثت منذ فترة انتشار الثقافة القفصية في شمال افريقيا في حدود الالف الخامس ق • م وهي هجرة كبيرة تبعتها هجرات عديدة اخرى لاحقة الى شمال افريقيا •

ويضيف ابن خلدون بان البربر هم الامة الثانية من اهل المغرب •

انظر : تاريخ الجزائر في القديم والحديث • مكتبة النهضة الجزائرية • طبع بيروت ١٩٦٣ ص ٦٠ ــ ٦١ •

(١٦) McBurney. C.B.M. ibid. P. 84.

اما الجماعات التي تعرف بالقبائل والتي توصف عادة بالقبائل البربرية فهم الامازيغ والامازيغ هم من الجماعات الحامية ، ويجمع الباحثون على انهم جاءوا الى شمال افريقيا عن طريق شبه جزيرة سيناء او عن طريق جنوب غرب الجزيرة العربية وعبروا على مراحل من المناطق السودانية ثم الصحراء وذلك خلال فترة الرعي (١٧) .

لقد بلغت شدة اختلاطات الجماعات من البربر بجماعات القبائل الاخرى بصورة متفاوتة ، كذلك كان اختلاط هؤلاء بالجماعات السامية والزنجية ملحوظا من مكان لاخر ، ويمكن تتبع الاصول الحامية في المناطق التي استقروا فيها في شرق افريقيا والسودان والنوبة ومصر وحتى المغرب (١٨).

---

(١٧) Clark, J.D. ibid. P. 25 and fig. n° 2.

انظر للتوسع عن تغلغل جماعات مهاجرة من مصر وعناصر بشرية من البحر المتوسط الشرقية ومعالم ثقافة الفيوم المصرية ، وكذلك خلال فترة نهاية الثقافة القفصية في شمال افريقيا ، الى مناطق متعددة في شمال افريقيا وذلك من خلال نتائج التنقيبات الاثرية ودراسة البقايا لهذه التجمعات في كل من تيد كلت وعين الصفرة وعبد الادهم :

Algèrie et Sahara.
Sous La Dire. d'Eugène Guernier.
Paris. 1948. Tom I. P. 28.
Balout, L. Algèrie Prèhistorique.
Paris. 1958. P. 6—8.

(١٨) نلاحظ ناحية اللغة التي نقلها الفينيقيون الى شمال افريقيا وتبني البربر بسرعة لهذه اللغة ولكن باسلوب او بلهجة خاصة وارتباط انتشار هذه اللهجة بانتشار البربر في شمال افريقيا بما في ذلك مصر . ومعروف ان الابجدية السامية ومنها الابجدية المعروفة باللسان البربري « التيفينار » (Tifinar) وهي نفسها المسماة بالابجدية الليبية ـ البربرية المرتبطة بالسامية بالاصل ومن ثم بالسامية الفينيقية . ويراد بهؤلاء المتكلمين بالتيفينار انهم اصلا من مناطق جنوب غرب اسيا وبعض مناطق من الجزيرة العربية بالذات وانهم وصلوا مناطق جبال الاطلس وحتى المغرب .

←

ويذكر المؤرخ الفرنسي گوتييه Gauthier في كتابه عن تاريخ شمال افريقيا القديم ، عن البربر وسكان شمال افريقيا قبل وصول الفينيقيين، بانهم من نسل ابرهة ذو الاذعار ، Abrahah Zoul Menal ويعتمد هذا المؤلف في ذلك على رواية عربية تذكر عن تماثيل اقيمت بجوار اعمدة هرقل واحد منها عليه كتابة تذكر انه من عمل ابرهة ذو الاذعار الحميري وانه مهدى الى سيده اله الشمس(١٩) .

انظر في ذلك :

Jean Mazel : Enigmes du Maroc. édit. R. Laffont. Paris 1971. p. 75.

وعن العلاقة اللغوية بين السامية ـ الحامية وما يعرف بالليبية ـ البربرية انظر :

A. Neillet & M. Cohen. Les Langues du monde par un groupe de Linguistes. nouvelle édit. Paris. 1952. pp. 81-181.

Der semitische charaker der Libyschen sprache. in: ZA. 50 (1952) pp. 121. 50.

لم تكن الابجدية الليبية معروفة قبل عام ١٨٢٠ وكان مكتشفها هو الباحث الالماني شولز ، Scholz حيث وجدها محفورة على الصخور . وفي عام ١٨٢٢ اكتشف اودني Oudney كتابات محفورة على صخور في منطقة فـزان في ليبيا ، كذلك اكتشفت كتابات اخرى بالقرب من منطقة جربة في ليبيا ايضا ، هـذا اضافة الى العثور على نماذج من هذه الكتابات المعروفة بالابجدية الليبية في سيناء .

انظر :

Scholz. voyage dans le pays entre Alexandrie et parxtonium dans le désert de Libye, En Egypte, en palestine, en Syrie, pendant les années 1820—1822. Leipzig. 1822.

Denham, C. and Oudney. voyage et découvertes dans le nord et la Partie centrale de L'Afrique, Paris. 1824 PP. 65, 70.

(١٩)

Gauthier. E.F. Le passé de L'Afrigue du Nord. Éd. payot. Paris, 1952.

Jean-Mazel. Ibid. P 71.

وعن ابن خلدون الذي يذكر عن البربر ، انهم يتكونون من قبائل مختلفة منهم الحميريين .. والكنعانيين .. وكانت هذه القبائل قد اجتمعت في سوريا قبل ان تهاجر الى شمال افريقيا فيما بعد[20] ويشير ابن خلدون ايضا الى قبائل البربر ولهجاتهم المختلفة مثل الزناتية والمصمودية والصنهاجية .. ويذكر ان هذه القبائل تيسر لها ان تتوحد سياسيا واجتماعيا خلال فترة الحضارة والوجود الفينيقي في قرطاجة وفي غيرها من مدن الشمال الافريقي الساحلية خاصة وكذلك كان اختلاطهم معروفا بجماعات الطوارق الذين يسمونهم احيانا بـ « بربر الصحراء »[21] .. والمعروف عن الاخيرين انهم كانوا ولا زالوا يتجولون في مساحات واسعة في الصحراء واستطاعوا ان يحافظوا على نقائهم الجنسي لفترات طويلة على الرغم من قربهم من المناطق

انظر عن الفصل وتصريفه في اللغة السامية الاكدية والبربرية الليبية :
S. Moscati. The semites in Ancient History. Cardiff. Univ. of Wales Press. 1954. P. 20.

يذكر بان ابرهة ذو الاذعار كان معاصرا لفترة الالف الاول ق . م . انظر في ذلك الروايات الخاصة بالبربر والجماعات الاخرى في شمال افريقيا :

اسماعيل العربي « صنهاجة وكتامة وغيرها من البربر سكان شمال افريقيا ». مجلة الاصالة التي تصدر عن وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية في الجزائر . السنة الثالثة العدد ١٦ (١٩٧٣) ص ـ ١٥٩ .

(٢٠) اسماعيل العربي . نفس المصدر السابق . ص ١٥١ كذلك عن مضمون رواية الشريف الادريسي الواردة في نفس المصدر اعلاه ص ١٥٢ :

« وكانت ديار البرابر فلسطين ، وكان ملكهم جالوت بن ظريس بن جنا ، هو ابن زناتة المغرب . وجني هو ابن لؤي بن قيس بن الياس مضر . فلما قتل داود جالوت البربري ، رحلت البربر الى المغرب حتى انتهوا الى اقصى المغرب فتفرقت هناك ونزلت مزاته ومغيلة وضريسة الجبال ، ونزلت لواته ارض برقة ونزلت طائفة من هوارة بجبال نفوسه »

(٢١) رولاند اوليفر وجون فيج : موجز تاريخ افريقيا (ترجمة دولت صادق) سلسلة دراسات افريقية . الدار المصرية للتأليف والترجمة . القاهرة ١٩٦٥ ص ٦٩ . كذلك انظر للتوسع في الاشارت عن الطوارق المرتبطة اصولهم بجماعات البحر المتوسط : McBurney. C.B.M. Ibid. P.. 86.

الزنجية التي ساهمت في تهجين جماعات منهم • ولقد اشار العرب والمسلمون الى الطوارق وسموهم بالملثمين لاستخدامهم اللثام بشكل دائم تقريبا •

وفي الواقع ان الساميين من الفينيقيين الذين انتشروا على طول الشريط الساحلي في شمال افريقيا وحتى المغرب واسبانيا وصقلية في اوربا اختلطوا بالجماعات البربرية وجماعات القبائل •

ويذكر المؤرخون القدماء ، من الفراعنة واليونانيين فيما بعد ، اسماء ارادوا بها تشخيص وتحديد اماكن التجمعات السكانية في شمال افريقيا كلا او جزءا وهكذا ذكرت جماعات التحنو والتمحو والريبو ، Rebu ، والليبو أي الليبيين[٢٢] والافرى ، Afri (ومنه اسم افريقيا) والمازي والمور • واراد هيرودوتس باصطلاح الليبيين كل سكان شمال افريقيا من الجنس او اللون الابيض • كما ان ليبيا عند هيرودوتس كانت تعني افريقية

---

(٢٢) عرفت المصادر المصرية هذه الاصطلاحات الثلاثة للاشارة الى التجمعات السكانية التي كانت تتجول في الاقسام الغربية من وادي النيل وذلك خلال فترة بداية العصور التاريخية في مصر وصولا حتى فترة المملكة الحديثة فيها • واخر الاصطلاحات التي عرفت في تشخيص المصريين لهذه التجمعات التي سكنت الى الغرب منهم كان اصطلاح الريبو او الليبو وذلك منذ بداية عصر الدولة الحديثة • ويبدو ان استقرار هؤلاء في هذه المناطق قد تطور بشكل ملموس حتى ان البعض منهم قد وصل الى الاقسام الجنوبية من مصر والسودان وانهم تميزوا ايضا عن مجاوريهم بشكل ملحوظ ، وكانت علاقاتهم وطريقهم الى السودان عن طريق الصحراء اكثر ملائمة من مصر • وللتوسع في ذلك انظر : د • فوزي فهيم جادالله • المؤتمر السادس للاثار في البلاد العربية • ليبيا طرابلس • ١٨ـ٢٧/٩/١٩٧١ • القاهرة • ١٩٧٣ ص ٥٣٥ •

اما فترة ظهور التسمية : التحنو والتمحو ، فقد وردت لاول مرة في النصوص الهيروغليفية المصرية من فترة الاف الثاني ق • م وارادوا بها القبائل والجماعات من سكان افريقيا التي كانت تختلف في لغتها وهيأتها وعاداتها عن الزنوج المراد بهم هنا جماعات السودان • انظر : Haynes. D.E.L. Ibid. P. 18 .

ولا سيما الشمال الافريقي باستثناء مصر ، فيما يرى المـؤرخ الرومانـي سـالوست Salluste (٢٣) بان الليبين هـم سكان السواحل ، بينمـا يسمى الاغريق واهالي قرطاجة من الفينيقيين وغيرهم افري وارادوا بذلـك كل التجمعات السكانية التي كانت تحت سيطرة الفينيقيين في قرطاجة .

اما الى الغرب من قرطاجة فقد سموا بالمور او الموريين ، Maures وهو اصطلاح قد يكون ساميا في الاصل ومأخوذا من ما هو ريم الذي يعني الغربيين (٢٤) .والمعروف عن الاغريق وسكان قرطاجة انهم كانوا يستخدمون الكلمات والاصطلاحات التي تشخص المواقـع التي سـكنتها المجموعات البشرية في شمال افريقيا ومن ذلك ذكرهم للنوميديين وانهم غير القرطاجيين ، وذكرهم لليبيين وجماعة الموريين الذي سكنوا الى الغرب منهم(٢٥) .

---

(٢٣) Caius Sallustius Crispus

ولد في سابين بايطاليا عام ٨٦ ق ٠ م وتوفي في عام ٣٤ ق ٠ م ، ويعرف عن سالوست انه كان حاكما على مملكة يوغرطة ٠ وقد اعتمد عـلى عدد من الكتـب الفينيقيـة لنقل روايات عن التجمعات السكانيـة في افريقيا واصول بعضها واختلافها ٠ وقد قام بترجمة كتابه من اللاتينيـة الكاتب الفرنسي جـول رومان ونشره في باريس عام ١٩٢٤ ٠

(٢٤) « امورو » و « مارتو » تعني ايضا الغرب في اصطلاح السومريين والبابليين ٠

(٢٥) يرى البعض ان جماعات من الميديين والارمن والفرس قد هاجرت الى شمال افريقيا ٠ واعتقد هؤلاء بان اسم الموريين ، Maures ، قد اشتق من اسم الميديين ٠ ولقد استقر هؤلاء قرب قرطاجة وسميوا بالنوميديين نسبة الى منطقة نوميديا ٠

Salluste. Guerre de Jugurtha. XVII, XVIII dans: Historiens romains editions Gallimard. 1968. PP. 684—885.

ويبدو ان حضور الميديين والفرس بشكل عام في شمال افريقيا متأتيا من بقايا الجيش الكبير الذي اصطحبه الملك الفارسي قمبيز الى مصر ومنها نفذت جماعات كبيرة منهم ومعهم جماعات من المصريين الى شمال افريقيا ٠

اما الفينيقيون ، وهم من الكنعانيين فقد اقتصر سكنهم على الشريط الساحلي اللبناني الممتد بين البحر وجبال لبنان ، ولم تكن هذه المساحة كافية من ناحية انتاجها الزراعي فاتجهوا نحو التجارة منذ الالف الثالث ق. م(٢٦).

وكان البحر وقربه عنهم ملهما ، لذلك ومنذ وقت مبكر ، اتصل الفينيقيون بشعوب عديدة خلال تجارتهم الخارجية ، ولقد نفذوا الى مصر في عهد بيبي الاول والثاني في منتصف الالف الثالثة ق . م(٢٧) . ومن مصر اكتشفوا اماكن جديدة في الغرب .

ويمكن القول ان البحر المتوسط منذ القرن الرابع عشر ق . م اصبح بحرا فينيقيا ، اي بعبارة اخرى انه اصبح تحت نفوذ الفينيقيين الذي اتسع بسرعة ليشمل مناطق واسعة .

والمعروف انه كان في مدينة صور اسطول كبير من المراكب المتنوعة وكان الفينيقيون من المبدعين في اساليب بنائها وصيانتها ، وساهموا بهذه الواسطة في توفير الحاجيات المهمة لشعوب مناطق شرقي البحر المتوسط وشمال افريقية واسبانيا ومناطق جنوب اوربا القريبة والمطلة على ذلك البحر .

وكان اتصال الفينيقيين بالتجمعات السكانية في اسبانيا في اول الامر خلال سكان مدينة ترشيش ، Tartessos الواقعة في الجنوب ،وكانوا

---

(٢٦)
Garelli. P. Le proche-Orient Asiatique. CLIO. Paris. 1974. pp 73, 86.

(٢٧) لقد تعرض الفينيقيون الى ضغوط عديدة اخرى اضافة الى ضيق رقعة سكناهم ، فلقد أثر عليهم أيضا الضغط والتوسع الاشوري وتأثروا بالصراع بين المصريين والحثيين على الاراضي السورية ولا يستبعد ان تكون هجراتهم الى السواحل الغربية من البحر المتوسط وشمال افريقيا مصحوبة بساميين اخرين من غير الفينيقيين اتخذوا طريق الهجرة معهم لاكتشاف عوالم جديدة بدوافع مختلفة ، ونعرف جيدا الضغوط التي تحملها الساميون جراء هجمات شعوب البحر المعروفة خلال القرن الثاني عشر ق . م :
G. Picard. Le monde de carthage. Paris. 1956. pp. 19, 12—13.
Garelli. P. Ibid. P. 45—46.

ينقلون من هذه المنطقة المعادن الثمينة كالفضة والذهب والنحاس والرصاص الى مناطق في شمال افريقية وآسيا الصغرى وبلاد اليونان وصقلية[٢٨] •

ولقد كان لتوسع الفينيقيين في مناطق عديدة من شمال افريقيا وتوغلهم في الصحراء[٢٩] ، حدثا هاما ساهم في تعجيل وصول جماعات شمال افريقيا الى الفترة التاريخية وربما الى توصلهم الى معرفة الزراعة قبل ذلـك وعـلى نطاق واسع • لقد نقل الفينيقيون الابجدية اللغوية[٣٠] والمـواد المصنعـة والمعادن التي كانت عناصر مهمة لشـعب المنطقـة التي هضمت الوجـود الفينيقي الذي ساهم بشكل ايجابي في استقرارهم في اكثر من حوالي ٣٠٠ مدينة على الساحل الافريقي وفي المناطق الداخلية ولفترة اكثر من الف عـام ، اي الى فترة الغزو الروماني وسقوط قرطاجة وتدميرها في عام ١٤٦ ق • م •

لقد سهل على الفينيقيين الوصول الى مناطق بعيدة عدم وجود قوى مناوئة تقف امام هذا التوسع ولان توسعهم كان توسعا سليما سرعان مـا

---

(٢٨) (ديودورس الصقلي) • Diodore de Sicile. V, 20 Strabon. 4. 3. 2.

(٢٩) Donald Harden. The Phoenicians. London. 1962. p. 169.
Barnett, R.D. Early shiping in the Near-East. Antiquity.
XXXII (1958) 226. Pl. 22b.

والمعروف عن هذه المواقع الفينيقية في شمال افريقيا انها كانت لا تبعـد الواحدة عن الاخرى احيانا مسافة تتجاوز الثلاثين كيلو مترا وفي هذه المواقع كان العديد من الساميين يستقرون فيها جنبا الى جنب مع سكانها الاسبق زمنا في استقرارهم فيها ، كذلك عرفت اثارهم في الداخل وبعيدا عـن الساحـل بمسافات بعيدة جدا ووجدت لهم كتابات في قسطنطينة في الشرق الجزائري وغيرها •

انظر ايضا عن التوسع الفينيقي في سواحل غرب افريقيا وعن طرقهم البرية عبر الصحراء ورحلاتهم الاستكشافية المبكرة لمثل هذه المواقع :

Warmington, B.H. Carthage. London. 1960 p. 62.

(٣٠) انظر الحاشية رقم (١٨) •

ظهرت فائدته للتجمعات السكانية في المناطق التي وصلو اليها • ولقد ساهمت العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في تسهيل مهمة وصولهم الى محطـــات في خليج السرت في ليبيا وربطها بعلاقات مماثلة مع وسط افريقيا الاســتوائية عبر الصحراء وربط مجموعة المدن الواقعة الى الشرق من مركز الفينيقيين العام في مدينة قرطاجة في تونس مع بقية المدن والتجمعات السكانيـــة الى الغرب منها ، اي في منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط • ويذكر عـــن تعداد سكان مدينة قرطاجة وحدها[٣١] ايام ازدهارها بداية من القرن التاسع

---

(٣١) قرطاجة عاصمة الفينيقيين ، تقع على بعد حوالي ١٦ كم الى الشمال الشرقي من مدينة تونس الحالية ، وتكوينها تقريبا على شكل جزيرة تتصل بالساحل من الغرب ، وتعني في اللغة الفينيقية : العاصمة الجديدة او المدينة الجديدة • وفي اللغة الفينيقية قرت حدشت تمييزا لها عن المدينة التي سموها عوتيقا •

لقد ساهم الفينيقيون كذلك في تطوير اساليب التبادل التجاري بسك النقود من الفضة والذهب •• ، ولقد عثر على قطع نقدية تحمل نقش اسم برصا ، الذي يرى فيه العديد من الباحثين انه الاسم الاول لمنطقة قرطاجه • ولاستخدام النقود من قبل الفينيقيين من حدود فترة القرن السابع ق • م له اهمية كبرى • ووجدت نماذج اخرى من هذه النقود التـــي عثر عليها المنقب الفرنسي سنتاس ، ووجد انها جيدة السك وتبدو « قرطاجيتها » الاصيلة واضحة من خلال تفاصيل نقوشها وانـــه اريد بها ليس فقط تسهيل المهمات التجارية وانما اعتبرت قطع ثمينة مجردة هذا اضافة الى ان سكها يحمل ذكرى تأسيس البلد والرغبة في تدوين اسمه بصورة برصا• ولقد فسر الاسم على اساس ان السك قد حدث في القسم المرتفع من المدينة قرطاجة والمعروف تحت تسمية برصا ، ويقابل هذا القسم ، جزء المدينة المنخفض والذي عرفوه تحت اصطلاح قرت حدشت Qarti hadasti • هذا اضافة الى عثور المنقبين على قطع اخرى مسكوكة في الجزء الاخير من المدينة وهو قرطاجة •

انظر :

S. Gsell. Hist. Ancienne de L'Afrique du Nord. I. p. 371-372.
Cintas. P. Manuel d'Archéologie punique. I. p. 172.
Cintas. Histoire et Arhéologie comparées. Paris. 1970. p. 88.
Müller, L. Numismatique de L'ancienne Afrique. p. 122 (carthage) n° 76, 127, 128.

ق . م انه كان حوالي ربع مليون نسمة ، ويذكر بعد ذلك عن الجاليات العديدة من الساميين وغيرهم من الذين سكنوا فيها اضافة الى العديد من العناصر المحلية ، ويذكر من هذه الجاليات الاوربية ، الاترسكيون واليونانيون الذين كانوا يعملون في ورشات العمل الخاصة بمختلف القطاعات حتى يذكر عن استفادة الفينيقيين من خدماتهم كثيرا . وكان هؤلاء قد جاءوا الى العاصمة الفينيقية قرطاجة من صقلية وجنوب ايطاليا واخرين جاءوا كلاجئين اجتماعيين او سياسين[٣٢] ، وذلك بعد التقلبات الاجتماعية والاقتصادية التي حدثت في بلاد اليونان وجزر ايجة ، وكان اختلاط الاخيرين بالفينيقيين السامين وبالتجمعات السكانية في شمال افريقيا امرا طبيعيا سواء في المجال الاجتماعي مثل التزاوج وغيره[٣٣]

وكان لطبيعة الاجناس والتجمعات السكانية العديدة التي عاشت في شمال افريقية مساهمتها ، خلال اختلاطها الطويل ، في تسهيل هضم وجود

(٣٢) د . محمد فنطر . قرطاج . لمحة تاريخية عن الحضارة البونيقية . تونس ١٩٦٣ . ٣٤ .

(٣٣) لقد كانت اتصالات اليونانيين بغيرهم من شعوب مدن وموانيء البحر المتوسط مألوفا وكانت حتى نفسيات التجمعات السكانية المطلة على البحر المتوسط متقاربة وكان اليوناني قليل الاحتكاك بغير هؤلاء في البحر ، ويعتبر سلوك البر سلوك الطريق الوعر والمسدود . هذا الى جانب الدوافع الاقتصادية التي اجبرت العديد من الجماعات اليونانية الى الهجرة الى شمال افريقيا .
انظر : Mayers. Anthropology and the Classics.
اشارة الى هيرودوتس . ٤ـ٣٦ـ٤٥ (الفصل ٤٥) . كذلك انظر البحث القيم للدكتور هشام الصفدي « اضواء على تاريخ المغرب » مجلة الاصالة الجزائرية . العدد ١٤ـ١٥(١٩٧٣) ص ٩٩ـ١١١ والذي يقدم فيه ايضا عن دور البحر المتوسط في ربط كتل التجمعات السكانية من جنوب اوربا والمتاخمة للبحر المتوسط مع شمال افريقيا ودور كريت وصقلية .

تجمعات جنسية اخرى عديدة[٣٤] • ولقد كان لظروف البلد وطبيعة الصراع والتنافس التجاري اثر ملحوظ في انخراط حتى مجموعة من الاوربيين من اسبانيا ومدن اليونان وسط المجتمع الافريقي ـ الفينيقي المنتشر على السواحل وفي داخل القارة •

---

(٣٤) ان عملية الاختلاط الجنسي في شمال افريقيا كانت مستمرة منذ فترة عصر البلايستوسين على الاقل ، ولقد كان اختلاط المهاجرين الجدد بالمهاجرين القدماء من السكان الاصليين شديدا في فترات بحيث ، يصعب تمييز تجمع سكاني معين بسهولة • انظر في ذلك :

Elsy Leuzinger. Afrique. L'art des peuples noirs. Albin Michel. Paris. 1962 P. 10

Leakey, L.S.B. The stone age races of Kenya. Oxford Univ. Press. London. 1935. after. Clark. J.D. in: papers in African prehistory edited by J.D. Fage. & R.A. Oliver. Cambridge. Univ. press. 1970. P. 32.

ويذكر عن الكتاب اليونان هذه المرة ما يؤكد اختلاط جماعات عديدة في شمال افريقيا اذ يذكر ثوسيديد في الفصول الخمسة من كتابه السادس عن اصل شعوب صقلية ومنهم الفينيقيين وانتشارهم فيها قبل انتشار الاغريق في الجزيرة •

Thuc. VI. 2. 6.

Jean Bérard. La colonisation Grecque de L'Italie Méridionale et de la sicile dans L'Antiquité. P.U.F. Paris. 1957. P. 69.

ويذكر ثوسيديد ايضا بان جزرا عديدة اخرى محيطة بصقلية كانت تابعة للفينيقيين منها ما كنيزي المسماة قديما بـ تابسوس Thapsos واكوست المسماة Xiphonia وكاتان وناكسوس وزانكل ، Zancle • كذلك يذكر تبعية المستعمرات الكبيرة الفينيقية الثلاثة الاخرى وهي Motye, Panorme, Solante ويذكر مؤرخ يوناني اخر : بوزانياس Pausanias بان عدد الفينيقيين في صقلية كان يوازي عدد غير الاغريق الساكنين فيها وان هؤلاء جاءوا اليها من قرطاجة • والمعروف ان كتابات وجدت في صقلية تعزز وجودهم في هذه الجزيرة قبل القرن الثامن ق• م•

حول نقوش وكتابات نورا الفينيقية في صقلية انظر :

Dupont-Sommer. in: Comptes rendus de L'Académie des inscriptions et Belles lettres. (CRAI) 9. Janv. 1948. p. 12—22.

Dussaud. R. in: Syria. 1949. P. 154 and P. 390.

ونعرف كذلك عن تأسيس اليونان لمدن عديدة مهمة على سواحل ليبيا منذ منتصف القرن السابع ق • م اي من فترة قريبة من تأسيس مستعمرتهم التجارية نوكراتيس المعروفة في مصر • كذلك ساهم استقرار نفس اليونان في ليبيا في تأسيس مدن اخرى اضافة الى قورين ، Cyrena المعروفة الان شمات في برقة ، ومنها مدينة توكرة (تاوخيرا)[٣٥] الواقعة على بعد ٦٥ كم الى الشرق من بنغازي ، وكان تأسيس هذه المدينة الثانية سلميا ايضا وبمساعدة من نفس الليبيين الذين اشاروا عليهم باختيارموقعها[٣٦] • ولقد سكن في نفس المدينة فيما بعد الرومان والبيزنطيون[٣٧] •

لقد وجد اليونان في هذه المدن استضافة طيبة واراض زراعية جيدة ومراعي خصبة ومستوطنين اقدم منهم ساعدوهم ايضا على الاستقرار وازدادت هجرة اليونانيين الى المنطقة واتخذوا لهم مدنا اخرى مجاورة وهجروا المستوطنين المحليين من الليبيين الذين استقروا في هذه المنطقة قبلهم نحو الاراضي الجافة والصحراء •

لقد استقطبت قرطاجة والمدن الساحلية في شمال افريقيا خاصة اعدادا كبيرة من المهاجرين من الاوربيين وغيرهم ، وكان عدد الصقليين في قرطاجة وحدها عشرين الفا وهذا العدد من الصقليين هو الذي طالب الرومان

---

(٣٥) د • فوزي عبدالرحمن الفخراني • « اضواء على تاريخ توكرة » وهو من البحوث التي القيت في المؤتمر السادس للاثار في البلاد العربية • ليبيا طرابلس • ١٩٧١ القاهرة • ١٩٧٣ ص ـ٥٧٩ والملاحظات على ص ٥٨٠ـ ٥٨٦ •

(٣٦) جون تشايلد • قورينة وابولوينا (ترجمة الادارة العامة للاثار في ليبيا) ١٩٧٠ • ص ١٥ •

(٣٧) نفس المصدر • ص ٢٩ •

لقد ظلت التجمعات السكانية الرومانية في هذه المنطقة وبشكل متواصل حوالي السبعة قرون : ١٤٦ ق • م ـ ٤٣١ للميلاد •

بعودتهم الى اوطانهم بعد خسارة قرطاج في الجولة الاولى من صراعها مع الرومان[٣٨] •

لقد كانت قرطاجة مدينة كبيرة وكانت موضع اعجاب معظم سكان مدن سواحل البحر المتوسط ، وملاحظة الى طبيعة نظام المجتمع والسلطة الديمقراطية انها كانت مشجعة على الهجرة اليها اضافة الى ما كان للمدينة من مجلس للشيوخ له الحق في مناقشة جميع المشاكل بما فيها السياسية والاجتماعية ويحسم في امور الحرب والسلم ••• هذا الى جانب دستور واضح يسهر على سلامة الدولة وامن افرادها[٣٩] •

وكان القرطاجيون في ايام المحن الحربية يجندون المرتزقة : من الليبيين والاسبان والسردينيين والكرسكيين (وهم سكان كورسيكا) والسلتيين من سيلته ، Celte[٤٠] •

وعلى الرغم من سقوط الفينيقيين في قرطاجة سياسيا وعسكريا في عام ١٤٦ ق•م وبعد ثلاثة حروب قاسية مع الرومان الا ان تجمعاتهم ظلت في مدن شمال افريقيا واستمرت اشعاعات جماعاتهم الحضارية مستمرة الى قرون اخرى بعد سقوط قرطاجة •

وترتاد هذه المرة المجموعات السكانية الجديدة من الرومان لتنتشر في شمال افريقيا وفي داخل الصحراء حتى مصر •

---

(٣٨) M. Kaddache: L'Algérie dans L'antiquité Madrid. 1972. P. 41.

(٣٩) د • محمد فنطر • نفس المصدر • ص ٤١ •

(٤٠) لقد وصل اعجاب سكان شمال افريقيا وغيرهم من المستوطنين الجدد من الاوربيين الى تبني نواح عديدة خاصة بالفينيقيين كالنواحي اللغوية والدينية والمظاهر الخارجية كالملابس والحلي وعادات الدفن •• وتعرف تانيت الهة الخصب التي انتشرت عبادتها في معظم مناطق شمال افريقيا وخاصة الاقسام الشرقية منها ، ونعرف اصل عبادة هذه الالهة المتصل بعبادة الالهة عشتار في جنوب غرب اسيا وخواصها المعروفة • كذلك عرفت عبادة الاله بعل الفينيقي الذي اصبح عند البربر الها يعبد وهو الاله الكبش •• انظر في ذلك • M. Kaddache. Ibid. P. 46.

ولقـد كـانت اهـداف الرومـان الحلول محل الفينيقيين للسيطرة على البحر المتوسط وافريقيا الى جانب استغلالهم لخيرات المنطقة الطبيعيـة والزراعية وخاصة الحبوب والزيوت ولتحقيق هذه الاهداف اسس الرومان مدنا كبيرة لا زالت بقاياها شاخصة حتى اليوم . وانشأوا اكثر من خمسين مدينة او ولاية في شمال افريقيا (ما عدا مصر) منها ولاية شمال افريقيا ويراد بذلك مناطق تونس وليبيا ونوميديـا وتعرف عاصـمة الاخيرة قرطة وهي قسنطينة الحالية الواقعة في الشرق الجزائري[٤١] .

وعرفت من مدنهم الكبرى لبدة العظيمة او الكبيرة الواقعـة عـلى الساحل الليبي والقريبة من طرابلس . والمعروف ان هذه المدينـة الرومانية تأسست فوق بقايا مدينة فينيقية وجدت التنقيبات الاثرية بقاياها تحـت المسرح الروماني[٤٢] . ولقد ظلت لبدة الكبيرة معروفة ومشهورة ايضا حتى اجتياح البيزنطيين لها عام ٥٣٣ .

ومن المدن الرومانية الكبيرة الاخرى في ليبيا صبراتا ، وكانـت بدورها مدينة فينيقية في الاصل استغل الرومان اهمية موقعهـا على الساحل وقريبا من مدينة طرابلس (الى الغرب منها في حدود ٦٧ كم) . ولقد عثرت التنقيبات الاثرية فيها على بقايا تجمعات سكنية فينيقية ويونانيـة مـن القرن السادس والخامس ق . م)[٤٣] .

لقد ساهم الرومان ، وبشكل غير مباشر ، في ربط العديد من التجمعات السكانية في المناطق المعزولة في شمال افريقيا بعضها بالبعض الاخر وذلـك بواسطة ما انشأوه من طرق برية طويلة امتدت على سواحل البحر وفي داخل الصحـــراء[٤٤] .

---

(٤١) رولاند اوليفروجون فيج : نفس المصدر . ص ٦٣، كذلك انظر :
د . يسري الجوهري . شمال افريقيا . دراسة في الجغرافية التاريخيـة والاقليمية . منشأة المعارف بالاسكندرية . ١٩٧٦ ص ١٠٦ـ١٠٧ .

(٤٢) Haynes. D.E.L. Ibid. P. 71.

(٤٣) Haynes. Ibid. P. 107.

(٤٤) Pierre Salama. Les voies romaines de L'Afrique du Nord. Alger. 1951. pp. 43, 44.

وفي الجزائر ، امتدت المقرات والتجمعات الرومانية في كل من عنابة وتبسة ومناطق النوميديين في الشرق الى مليلة وطنجة على الساحل المغربي وصولا الى موريتانيا وكانت الاخيرة معروفة باستقرار الرومان فيها . وفي هذه المنطقة التي تربط اجزاء كبيرة من شمال افريقيا والصحراء بالمحيط الاطلسي صدر النظام المعروف بالنظام الروماني وذلك عام ٢٦٢[٤٥] . وعرفت من مدن الرومان الكبيرة في الجزائر تمگاد (تمقاد) وجميلة وتيبازا . والمعروف ان اصغر هذه المدن كانت تجمع ما لا يقل عن عشرة الالف نسمة فيها .

ومع اختلاط الرومان بسكان افريقيا فقد ظل العديد من المناطق بعيدة عن الاختلاط بالرومان وعن سيطرتهم ، ومن هذه المناطق الجبلية في الجزائر مناطق مليانة الواقعة ضمن جبال بليدة جنوب الجزائر العاصمة بحوالي ستين كم وكذلك مناطق القبائل الكبرى والصغرى . ولقد اجبر المحتلون من الرومان بعض التجمعات السكانية على الساحل الى التقهقر باتجاه الصحراء وكان نصيب جماعات البربر واضحا في هذا التهجير مما زاد في دفعهم الى الاندماج الاقتصادي والاجتماعي والنفسي مع سكان الصحراء . ولقد اسكن الرومان مرة واحدة خمسة الاف وخمسمائة عسكري وثلاثة عشر الف من العاملين في الجيش في منطقةنوميديا في الشرق الجزائري وذلك لحماية وحراسة المنطقة فقط هذا اضافة الى خمسة عشر الفا اخرين لحماية مناطقهم في موريتانيا ، عدا عوائل واتباع هذه الاعداد الكبيرة من العاملين في الجيش واللذين استقروا لفترة طويلة نسبيا في شمال افريقيا . والمهم هنا ان العديد من هؤلاء ذابوا في مجتمعات شمال افريقيا كليا وخاصة في مناطق موريتانيا ونوميديا[٤٦] .

(٤٥) M. Kaddache. ibid. P. 127.

(٤٦) M. Kaddache. ibid. P. 138.

ومع ظهور المسيحية اصبحت مناطق شمال افريقيا من جديد نقطة تجمع سكاني خليط من اجناس جديدة اخرى • وعرفت منذ القرن الثاني للميلاد مجموعات من الكنائس ومجموعات من المسؤولين من رجالاتها جمعت اسمائهم خليطا من الرومانية والبربرية • ومن خلال المآثر اللغوية والادبية والتاريخية نجد ان الفترة الممتدة من القرن الثاني وحتى القرن الرابع تضم اسماء اعلام من مؤلفي هذه المعارف تنسب ولادتهم واسرهم الى مدن في شمال افريقيا(٤٧) •

لقد كان انتشار المسيحيين الى شمال افريقيا وكذلك تبني الدين الجديد من قبل قليل من المجموعات السكانية الاخرى في شمال افريقيا نفسها هو نوع من رد الفعل تجاه الامبرطورية الرومانية وطابعها الاستغلالي الكبير • يضاف الى ذلك ، ان ضعف الامبراطورية ، ثم تبنيها فيما بعد للدين المسيحي كان سريعا جدا ملاحظة لضعف السلطة المركزية وضعف انتظام الجيش ، يضاف الى ذلك مصاحبة الضعف الاقتصادي وتفكك المجتمع نتيجة لاعتماده على الطبقات ذات الاقتصاديات المتفاوتة واعتماد العبودية في المجتمع والشبيه بما آلى اليه النفوذ الفرنسي في شمال افريقيا على الرغم من وجود قرابة مليوني نسمه فيه(٤٨) •

وساهمت الكنيسة المسيحية في شمال افريقيا اخيرا في تقويض الامبراطورية الرومانية رغم مسيحية روما •

---

(٤٧) M. Kaddache. ibid. P. 173—185.

كذلك انظر بعض ترجمات الرحالة الالماني هاينرش فون مالستان المعنون : ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا ، ترجمة د • دودو في مجلة الاصالة الجزائرية • السنة الثالثة العدد ١٦ (١٩٧٣) ص ٦٣ــ٧٠ •

(٤٨) S. Gsell. Esclaves ruraux dans L'Afrique Romaine. in: Mélanges Gustave Glotz. Paris. 1932. Tom. I. pp. 413.

وجاء تجمع جديد اخر بموجة بشرية كبيرة من اوربا ممثل باجتياح الوندال لشمال افريقيا وذلك في شهر نيسان من عام ٤٢٩ • وكان هؤلاء من قبائل جرمانية ربما كانوا من جماعات جهات بحر البلطيق اللذين اجتاحوا مناطق الغال في وسط وجنوب فرنسا وعبرو الى اسبانيا وبعد ان مكثوا فيها روحا من الزمن عبروا منها الى شمال افريقيا (ويرجع ان اسم الاندلس اندلوسيا مأخوذ من اسمهم) • ويقدر عدد هؤلاء في اول دخولهم حوالي خمسون الف ارتفع بسرعة الى ثمانين الفا من المحاربين فقط[٤٩] •

وكانت قبائل الوندال هذه ، التي قلنا انها من القبائل الجرمانية هذه المرة ، قد اجتازت حدود الراين وجرت معها مجموعات اخرى من القبائل الجرمانية الاخرى كالاكين والسويف ودخلت شمال افريقيا بقيادة ملكهم جنسريق[٥٠] •

ولقد اضفت نوميديا صفة الشرعية على استيطان الحلفاء الجدد من الوندال وتداخلت معهم اجتماعيا منذ عام ٤٣٥ و فيافريقيا عام ٤٤٢ •

واستعاد البيزنطيون شمالي افريقيا من الوندال حيث تمكن الامبراطور جستنيان عام ٥٣٣ ان يحرر افريقيا منهم •لقد جمع هؤلاء البيزنطيون اشتاتا من افراد الجنود والموظفين من شذاذ الافاق والتجار القادمين من بيزنطة وغيرها اضافة الى مجموعات من رجال الدين الذين شجعوا ادخال المصنوعات البيزنطية تحت تأثير بقايا اليونانيين الذين كانوا المروجين لها[٥١]•

---

(٤٩) M. Kaddache. Ibid. P. 206.

(٥٠) ادوار بردي • تاريخ الحضارات العام • ترجمة يوسف اسعد داغر • بيروت ١٩٦٥ • ص ٢٠ •

(٥١) نفس المصدر السابق • ص ٢٦ •

ثم تدفقت الى شمال افريقيا موجات سامية اخرى ممثلة بالفتح العربي الاسلامي منذ القرن السابع الميلادي وكان اتصالهم الاجتماعي والرسي واسعا وواضحا هذه المرة ونتيجة لهذا الاندماج الكبير اصبحت نفس التجمعات السكانية في شمال افريقيا مركزا رئيسيا اخر لتدفق سكانها الى الغرب وحتى الى اسبانيا وجنوب اوربا .

لم يقتصر التدفق السامي او العربي هذا على هذه الفترة بل اعقبته موجة ضخمة اخرى خلال فترة القرن العاشر وهجرة ثالثة خلال القرن الثاني عشر بدون ان ننسى التدفق المعاكس بعد سقوط الاندلس من يد العرب المسلمين ورجوع العديد من الخليط السكاني بعد تزاوج دام حوالي السبعة قرون مع العنصر الاوربي بشكل عام . ومع دخول هذه الموجات من الجماعات السامية الجديدة كانت جماعات اخرى من الارمن وغيرهم من غير الساميين الذين انضموا تحت راية الاسلام واندمجوا مع الشعوب التي اسلمت متأخرة والتي كانت بعيدة عن مراكز التبشير الاولى . كذلك دخلت الى شمال افريقيا بهذه الواسطة وبشكل سلمي بحيث كان تقبلهم من قبل السكان في شمال افريقيا مشجعا كثيرا ، قبائل من حمير ولحم وجهينه وقيس وبنو هلال وبنو سليم ... ولقد انقسم البعض من هذه القبائل بعد تزاوج افراده مع التجمعات السكانية في شمال افريقيا الى فصائل وقبائل وتجمعات سكنية تعرف حتى الان بالمزابية والشاوية ....